تحيّـــة الـــى ميشـــال شيـــحا

وُلد ميشال شيحا في بمكّين – القرية الوادعة قرب سوق الغرب – عام ١٨٩١ ، في كنـــف عائلة موسرة ، تابع دروسه على أيدي الآباء اليسوعيين ثم سافر قبيل الحـــرب الى الإســـكندرية – حيث كان من المثقفين الذين ناضلوا لقيام لبنان الكبير في حدوده الحاضرة .

بعد انتصار الحلفاء عاد الى بيروت ، وكان من الكوكبة التي تحلّقت حول "المجلة الفينيقية" ، وانتخب نائباً عن بيروت ، ثم كان عام ١٩٢٦ من أبرز أعضاء اللجنة التي وضعت دستور ١٩٢٦ .

خاض عالم الصحافة اليومية والسياسة المباشرة وغير المباشرة ، فكـــان المرجـــع مـــن قِبـــل الديبلوماسيين الأجانب قبل القيادات المحلية . وفي الحركة الإستقلالية عام ١٩٤٣ كان شيحا في قلب المعركة . بعدها لم يفسح الاستقلال لهذا الكبير المكان اللائق لا في الوزارات ولا في مجلس النـــواب . ولكنه انكبّ بالمقابل على كتابة المقالات اليومية ، تقريباً ، بالفرنسية بين العامين ١٩٤٢ و ١٩٥٤ . ومعظمها يدور حول ماضي لبنان وحاضره والمستقبل .

لقد كان شيحا رجلاً متعدّد المواهب : رجل أعمال ، وصحفي ، وشاعر ، ورجل سياسة ، هاوٍ للموسيقى ومطلع بعمق على تقنيات الفن . وكان ينطبق عليه قول Térencc :"أنا انسان وكـــل ما هو انساني ليس غريباً علي" .

في ١٦ ك١ ١٩٥٤ انطفأ العقل الكبير . ولكن التراث الكبير من المواقف والأفكـــار بقـــي مستمراً في روح الشعب اللبناني وفي قلب كل وطني آمن بلبنان رسالة حرية في هذا الشرق .

ومن هذا الموقع تجد الحركة الثقافية – انطلياس نفسها معنية بتكريم هذا الرجل الوطني الكبير في زمن الزلازل الكبرى . وهي تعتبر أن العمارة الفكرية التي تركها تشكّل مرجعاً غنياً يمكن فهمـــه على نحو أكثر وضوحاً بعد الحروب المركبة التي عانى منها وطننا .

ومن المحاور التي تدعونا الى التقدير :

١- الدفاع عن لبنان المستقل في إطار التعاون مع محيطه العربي : قال شيحا :

"إنّ لبنان اليوم ، لبنان المستقل الحصين الذي يخص أبناءه ، كل أبنائه على السواء ، إنما لـــه وعليه أن يعلن حقه بالحياة . فله أكثر من أي وقت مضى مبرّر لوجوده . ونحن لبنانيي الجبل والسهل ومدن الشط والأطراف ، يتوجّب علينا أن نتفانى في خدمته ، وأن نخوض غمرات القتال إذا اقتضى، إرادَة أن نزفّه الى لبنانيي الغد موفور المنعة والكرامة" (١) .

ولئن شدّد شيحا باستمرار على أنُ لبنان هو جمهورية بحرية متوسطية ، فإنّه يؤكّد بالمقـــابل على أهمية دور لبنان في إطار الجامعة العربية وفي خدمة اللغة العربية ، وإذ يشدّد على المنابع الروحية

والفكرية واللغوية والسياسية والإجتماعية المشتركة بين لبنان وبيئته العربية (٢) ، فإنّه يؤكّد في نفس الوقت على حتمية التفاهم وتوثيق التعـــاون مع الجارة الأقرب سوريا ، الـــتي تحدّنا من الشرق والشمال (٣) .

٢- التأكيد على المواطنية والحرّيات :

إذا كان ميشال شيحا من الذين اتهموا بالواقعية من خلال إقراره بالبنية الطائفية حيث يؤكّد (أننا هنا أقليات طائفية متشاركة ، هدفها أن تتّحد وتتآخى أكثر فأكثر على الصعيد السياسي)(٤) ، فإنّه يؤكّد في الآن عينه أن شدّ ما نحن بحاجة إليه هو المواطنية (٥) وبنسبة ما يستبيح لبنـــان حرمـــة حرّياته بنسبة ذلك يغدو عرضة للتصدّع والإنهيار (٦) . وأن مستقبل لبنان منوط أساساً بالحريّـــة . والحرية هي حجر الزاوية للسياسة التي تؤاتينا (٧) .

٣- التأكيد على دولة القانون وعلى المستوى الفكري والنوعي والثقافي :

يرى مفكرنا أن عدم احترام القانون هو الخطورة بعينها . وعلى المسؤول قبل غيره أن يتحلّى بالشجاعة الكافية لاقتياس أخطائه (٨). ويرى أن مستقبل لبنان هو أولاً مستقبل فكري ونوعي (٩) . من هنا اهتمامه بالتربية والثقافة كسبيل لترسيخ الروح الوطنية والتقدّم الإجتماعي .

٤- التحذير من الخطر الصهيوني : يقول شيحا :

"في جنوب لبنان ، على التخوم ، كما على تخوم مصر والأردن وسوريا ، تقوم واحدة مـــن أشد القوى نفوذاً في الأرض ، حيث اللاملموس واللامرئي يفوق بكثير ما يستطاع لمسه ورؤياه" . ثم يضيف :"لئن كان للاستعمار معنى ، ومعنى للعنصرية ، فإن اسرائيل هي بالتحديد الدولـــة الأشـــد عنصرية والأشد استعماراً على وجه الأرض"(١٠) .

ويشبّه اسرائيل بمختبر بشري في حركة دائبة ، موصولة ، ومطامع مختلة تغلي أبداً وتفور (١١) ، الأمر الذي سيؤدي في رأيه الى هموم سياسية واقتصادية واجتماعية لا يجوز أن يجهلها اللبناني الواعي (١٢).

ونحن مهما عملنا فلن نؤتى الراحة بعد اليوم ، أولن نؤتاها طويلة الأمد على الأقل . ذلك أن اسرائيل ، صاحبة التوطين الممنهج ، تسعى لتوسيع حدودها .

في هذه الأيام المصيرية التي تصاغ فيها خرائط المنطقة من جديد في كواليس السياسات الدولية والإقليمية نقول للقاصي والداني : أنّ لبنان هو معادلة ثابتة في شرق المتوسط . ولن يستقر أي نظـــام شرق أوسطي على حساب لبنان الحر المستقل والسيد وبكامل حدوده المعترف بها دولياً .

(١) لبنان في شخصيته وحضوره ، ترجمة فؤاد كنعان ، منشورات الندوة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٣٧ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٤٣ .

(٥) المرجع نفسه ،ص ٧٤ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ١٢٩ .

(٧) المرجع نفسه ، ص ١٢٧ .

(٨) المرجع نفسه ، ص ٧٨ .

(٩) المرجع نفسه ، ص ١٣١ .

(١٠) المرجع نفسه ، ص ١١٠-١١١ .

(١١) المرجع نفسه ، ص ١٣٧ .

(١٢) المرجع نفسه ، ص ١٣٨ .

* هذه كلمة التقديم التي ألقاها الدكتور عصام خليفة في الندوة التي أقامتها الحركة الثقافية - انطلياس حول ميشال شيحا ، بمناسبة صدور مؤلّفاته باللغة العربية في ١٩٩٧/٢/٢٠ .